

المبحث الأول الشورى في القرآن الكريم والتاريخ الإسلامي

إن الشورى قيمة إنسانية مارستها الشعوب والقبائل والأمم والجماعات البشرية على مر تاريخها الطويل كل بطريقته الخاصة سواء في سهول سيبيريا، أو أدغال أفريقيا، أو صحراء الجزيرة العربية أو هضاب آسيا، أو مروج أوروبا أو غيرها إلا أن الإسلام أضاف لها بعداً تعديداً وجعلها من القيم الإنسانية الإسلامية الرفيعة ورتب على العمل بها ثواباً وعلى تركها عقاباً.

أولاً: الشورى في القرآن الكريم:

1 - في البدء كانت الشورى:

اعتاد العلماء والكتاب حين يتحدثون عن الشورى وأدلتها الشرعية أن يركزوا على الآيتين الكريمتين من سورتي الشورى وآل عمران وهما فعلاً آيتان مركزتان في الموضوع سآتي - بعون الله تعالى - على ذكرهما وبيانهما إلا أنني أجملهما المنتهى وليس المبتدى⁽¹⁾.

وأبدأ من قوله سبحانه : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي

(1) الشورى في معركة البناء، د. أحمد الريسوني، ص: 15.

الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٣﴾

[البقرة: 30-32].

وهذه المحاوره تنطوي على نوع من المشاوره، مشاوره أريد لها أن تكون في بدء الخليقه لتكون هدياً ملازماً لبني آدم منذ الخلق الأول⁽¹⁾، وليكون كالاتشارة للملائكه وتكريماً لهم فيكون تعليماً في قالب تكريم وليسن الاستشارة في الأمور ولتنبيه الملائكه على ما دق وما خفي من حكمة خلق آدم كذا ذكر المفسرون⁽²⁾ فالشورى هي أول سنة اجتماعية سنها الله لخلقه ولعباده ليقنتدوا بها ويهتدوا بهداها كما يستفاد من هذه النازله أن الشورى مسنونه حتى في القضايا المحسوسه والمعروفه، على أساس أن هذا النوع من أنواع الشورى له مقاصده وفوائده المذكوره أو المذكور بعضها، كالتعليم والتكريم ثم الحث على التآسي والتأدب⁽³⁾.

2 - الشورى عند إبراهيم عليه السلام:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي السَّمَاءِ آيَةً أُنذِرُكُمْ بِهَا فَاَنْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَبْنَؤُا أَفَعَلَ مَا تُمُرُّ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات: 102].

- (1) الشورى في معركة البناء، د. أحمد الريسوني، ص: 15.
- (2) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، ص: 16.
- (3) الشورى في معركة البناء، د. أحمد الريسوني، ص: 16.

فالمسألة محسومة معزومة ومع ذلك يقول إبراهيم لولده:
﴿يَبْنَؤُاِ اِيَّ اَرَى فِى الْمَنَارِ اِيَّ اَذْبَحُكَ فَاَنْظُرْ مَاذَا رَزَعْتُ﴾، فيجيب الولد:
﴿يَنَابِتِ اَفْعَلُ مَا تُؤَمِّرُ سَتَجِدُنِي اِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

وهذه الآيات تبين لنا بأنه لا يمنع العزم عن إنفاذ الرأي وظهور
جوابه عن الاستشارة، ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام أمر بذبح ابنه عزيمة لا
مشورة فيها فحمله حسن الأدب وعلمه بموقعه في النفوس على
الاستشارة فيه فقال لابنه: ﴿يَبْنَؤُاِ اِيَّ اَرَى فِى الْمَنَارِ اِيَّ اَذْبَحُكَ فَاَنْظُرْ
مَاذَا رَزَعْتُ﴾⁽¹⁾.

إن من يعتاد المشاورة حتى فيما هو واضح جلي لا يمكن أن
يتجنبها فيما هو غامض وخفي، فكون الشورى مسنونة ومحمودة
ومفيدة في قضايا قطعية ومحسوسة، إنما هو إيذان بمدى ضرورتها
ولزومها وأولويتها فيما تعدد فيه الوجوه والإشكالات وتتضارب فيه
الأنظار والاحتمالات⁽²⁾.

3 - الشورى العائلية :

قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَنَ أَجَلَهُنَّ فَأَسْكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
سَرِيحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَد ظَلَمَ نَفْسَهُ
وَلَا يَتَّخِذُوا عَآئِبَتِ اللَّهِ هُزُوًا وَأَذْكُرُوا بِعَمَتِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ
الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ بِعَضُوكُمْ بِيَدٍ وَأَنفَعُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٣﴾
وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَضُلُوهُنَّ أَن يَبْكِيَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَصَمُوا

(1) سراج الملوك، للطرطوشي، ص: 132.

(2) الشورى في معركة البناء، ص: 17.

بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ
 أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٣﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ
 حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُبْرِئَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
 لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَاكِرُ وَالِدَةً يَوْلِيدَها وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يَوْلِيدُهُ وَعَلَى
 الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ
 عَلَيْهِمَا... ﴿البقرة: 231-233﴾.

في الآية الأولى: إذا وقع التفاهم والتراضي بين الزوجين
 المطلقين من أجل التراجع والمراجعة، واستئناف علاقتهما الزوجية،
 فلا يجوز للولي أن يمنع ذلك.

وفي الآية الثانية: أن الرضاع المحدد في حولين كاملين يمكن
 تخفيض مدته، لكن على أن يتم الفطام بتشاور وتراضي لا أن يستبد
 به أحد الأبوين. وهذا يعني أن تدبير أمر الأولاد هو حق وواجب
 مشترك بين الوالدين، وأنه يجب أن يتم بالتراضي والتشاور، لاختيار
 أفضل ما يصلح للولد وينفعه مما هو ممكن.

فكون المرأة هي التي تمارس الإرضاع، لا يخولها التفرد بقرار
 توقيفه أو تمديده، وكذلك الزوج، باعتباره صاحب القوامة والنفقة،
 لا يحق له الاستبداد بأمر أولاده، فالأم شريكة له في تدبير شؤونهم،
 فلا بد أن يكون ذلك كله ناشئاً ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾^(١).

وعلى هذا، فالقرارات المتعلقة بتعليم الأبناء الصغار، من حيث

(1) الشورى في معركة البناء، ص: 17، 18.

مكانه ونوعه ومدته، واستمراره وانقطاعه أو المتعلقة بصحتهم وبإقامتهم وسفرهم، وسائر أنشطتهم، ما يقبل منها وما لا يقبل، وما يشجع منهما وما لا يشجع وكذلك المتعلقة بتوجيههم المهني أو بتزويجهم إذا كانوا متوقفين على التوجيه والمساعدة من آبائهم وأمهاتهم . . . ، كل هذا وغيره يحتاج إلى تدبير شورى مشترك بين الوالدين، أو بينهما وبين الولد نفسه إذا أصبح له تمييز ونظر وتحن مشاورة الصغار أنفسهم لأجل تعليمهم وتدريبهم وتأديبهم بأدب المشاورة⁽¹⁾.

وقد جاءت الأحاديث النبوية حاثّة على استثمار البنات في شأن زواجهن والأحاديث في ذلك كثيرة، منها عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجارية ينكحها أهلها، أتمتأم أم لا؟ قال: «نعم تستأمر»⁽²⁾.

4 - حال التنازع والخصام:

قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 35].

فها هنا أمر ضمنى بالشورى، فما دام هناك حكمان فلا يمكن أن يكون تقدير الحالة واعتماد الحل الممكن إلا شورى واثماراً بينهما، ثم اتفاقاً وتراضياً على الحل والمخرج⁽³⁾.

(1) الشورى في معركة البناء، ص: 19.

(2) المصدر نفسه، ص: 19.

(3) المصدر نفسه، ص: 19.

5 - رسول الله يحث زوجاته على مشاورة آبائهن وأمهاتهن :

حين وقعت بينه وبينهن جفوة لكثرة ما كُنَّ يحرجه به من طلبات النفقة فأنزل الله في ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَّا رَوْحَ لَهَا إِن كُنتن تُرِيدنَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمِّعَنَّ وَأُسْرِعَنَّ سَرًا جَمِيلًا ﴿٧٨﴾ وَإِن كُنتن تُرِيدنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٩﴾﴾ [الأحزاب: 28-29].

فقد عرض رسول الله ﷺ الأمر على نسائه، وخيرهن بما نصت عليه الآياتن وبدأ بعائشة ؓ وقال لها: «فلا عليك أن تستعجلي حتى تستأمري»⁽¹⁾ وفي رواية: «أحب أن لا تعجلي حتى تستشيري أبويك . . .» فقالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي، بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة⁽²⁾.

ثانياً: الشورى في المجال العام في القرآن الكريم:

إذا ثبتت الشورى ولزمت القضايا الخاصة والحياة الخاصة للفرد مع نفسه، ولل فرد مع مثله من الأفراد وثبتت ولزمت للزوج مع زوجه والأب مع أبنائه، فكيف تكون ضرورتها وأولويتها في الشؤون العامة والقضايا الكبرى؟

جواب ذلك وبيانه في آيتي الباب وعمدته⁽³⁾.

(1) البخاري، كتاب التفسير، سورة الأحزاب.

(2) صحيح مسلم، كتاب الطلاق.

(3) الشورى في معركة البناء، ص: 20.